

أزمة الهوية في الجزائر في ظل التعدد اللغوي (الأسباب - الحلول)

. د. بن قفة سعاد: جامعة محمد خيضر - بسكرة-الجزائر .

. د. علي شريف حورية: جامعة محمد بوضياف - المسيلة - الجزائر .

الملخص:

إن تماسك المجتمع واستقراره واستمرار وجوده الاجتماعي مرتبط أشد الارتباط بالكثير من المقومات التي تشكل ركيزة المجتمع وأساس قوامه، من بينها الهوية، هاته الأخيرة. إن كانت محددة المحتوى لا شك ولا اختلاف فيها، بل هي محل اتفاق كل اختلاف سواء ديني أو اجتماعي أو سياسي... الخ

إن مسألة الهوية في الجزائر هي من بين القضايا التي لا نقاش ولا اختلاف فيها، غير هذا الوضع لم يبقى على ما هو عليه، بل أصبحت مسألة شائكة ومجالا للاختلاف والخلاف، خاصة في ظل التعدد اللغوي الناتج عن الأصول الاجتماعية المختلفة.

هذا ما أطلق عليه في هذه المداخلة بأزمة الهوية، لذا ستناقش صفحات البحث الذي بين أيدينا أسباب ذلك،

وما هي حلولها.

مقدمة.

من العوامل الداخلية التي أصبحت تهدد أمن المجتمعات هو مسألة الهوية بمكوناتها المختلفة باختلاف سلم تقدير كل دولة، فما حمله الواقع اليوم هو امكانية تعايش هويات فرعية في اطار الهوية الكلية، هاته الأخيرة التي تعمل على تماسك المجتمع واستقراره وتطوره. إن هذا الوضع لا ينطبق على كل المجتمعات والدول. حيث أصبحت الهوية بهذا الشكل تعاني نوعا من الأزمة الناتجة عن حالة من التوتر وعدم الوصول الى مفهوم ومكون موحد لها الذي قد يأخذ بكل الاختلافات المدعمة للتماسك فيؤدي بذلك الى الفرقة والتخلف عوض الاستقرار والتطور ناتجة خلق حالة من التشرذم على كل المستويات الاجتماعية وعلى كل بنى المجتمع بمختلف أنساقه.

من بين الدول اليوم التي أصبحت تعاني من هذا المشكل هي الجزائر، بالرغم من أن هذه المسألة قد طرحت خلال الفترة الاستعمارية لكنها انتهت بمبدأ نظام الأولويات التي كانت في تلك الفترة متمثل في تحقيق الاستقلال والقضاء على التبعية بكل أشكالها. لذا أجل مكون الهوية في بعده الأمازيغي الذي يجب أن يضاف الى اللغة العربية كأحد الركائز الأساسية لهوية المجتمع الجزائري. ليعالج بعد الاستقلال وعلى فترات زمنية متباعدة بسبب رفض النظام السياسي في تلك الفترة الاعتراف باللغة الأمازيغية كلغة للدولة ومبقيا إلا على اللغة العربية، وهذا ما أكدته الدساتير المتعاقبة للدولة الجزائرية خلال فترة الأحادية الحزبية. ليتم الاعتراف بها بعد فتح المجال للتعددية السياسية بالرغم من رفض بعض القوى والشرائح الاجتماعية لذلك فأصبحت هذه القضية باعتبارها أحد مكونات الهوية مجالاً للصراع.

كما تسبب كذلك في خلق أزمة على مستوى هوية المجتمع الجزائري هو السياسة التي اتبعها الاستعمار الفرنسي في سبيل تحقيق الغزو الثقافي ومحو هوية المجتمع الجزائري بكل مكوناتها واحلال محلها هوية

المستعمر، وقد كان لهذه الفترة آثارها الواضحة التأثير على معالم هوية المجتمع الجزائري سواء الواقعية أو الوهمية، وباحلال كذلك نوع من الصراع ما بين الفرنكوفونيين والأصوليين، الى جانب غزو اللغة الفرنسية للغة العربية في عكر دارها محدثة هذه السياسة أزمة واضحة على المستوى الوجودي للهوية في بعدها الديني واللغوي .

بناء على ذلك ستبرز صفحات هذه الورقة البحثية فيما تكمن أزمة هوية المجتمع الجزائري وما هي أسبابها وكيف يمكن تجاوز ذلك.

أولاً- الهوية في المجتمع الجزائري:

1- تعريف الهوية:

الهوية كما هو واضح من مركباتها، متجددة وذات ديناميكية، وفي حركة متطورة ودائمة بتطور المجتمع وتراكم الوعي، إذ يجد الفرد بين الحين والآخر إمكانية تشكيلها وإعادة صياغتها في إطار الوطن الواحد مع إمكانية تعددها لدي الفرد بين هوية أولية وأخرى ثانوية حسب الدور الذي يلعبه في إطار الأسرة والمجتمع (1)

2- الأهمية الاجتماعية للغة:

توضح "نوال عطية" أهمية العلاقة التكاملية بين اللغة والجماعة في قولها: "إن اللغة لأعظم اختراع قام به الفرد، وإنها الوسيلة الاجتماعية الأكثر أهمية بالنسبة له من أي وسيلة اجتماعية أخرى، فوظيفة اللغة اشباع رغبات الفرد والتعبير عن الأفكار والأحاسيس، فاللغة تبرز الفكرة الكامنة لدى الفرد وتظهرها للآخرين." (2)

كما يقول " كمال يوسف الحاج": " اللغة القومية وحدها تسمو بالفكر الى درجة العبقرية الخالدة، فالذي يتنازل عنها يتنازل عنها يتنازل عن جوهره، والتربية الصحيحة لا تتنازل عنها مطلقا، ولا تتساهل في هذا المجال، بل تسهر في حذر على أن تتبوأ اللغة القومية مركزا يليق بها، وهو الأول في سلسلة المركز فلا أمة واعية بدون لغة قومية ، إن اللغة القومية هي لغة الأمة كلها" وإن اللغة كذلك هي روح الأمة وحياتها كما تمثل أحد عناصرها وأقوى مقوماتها، فهي عامل أساسي لازدهار ثقافتها وحضارتها عبر مسارها التاريخي فحياة الأمم تقوم بلغاتها. (3)

نظرية الهوية الاجتماعية:

قدم هذه النظرية عالم النفس الاجتماعي تاجفل (1978)Tajfel ,ومجموعة من الباحثين في علم النفس الاجتماعي إذ درست انتماء الفرد إلى _مجموعات الاجتماعية ، ومفهوم المجموعة تميزه العلاقة النفسية المشتركة بين أعضاء الجماعة والوعي لدى أفرادها بأن لهم هوية جماعية مشتركة ومصير جماعي مشترك ، وأن الوعي الجماعي Awareness Group المشترك أو الشعور المشترك بالانتماء للمجموعة، والذي يشكل العامل النفسي الأهم في تعريف أي تكتل بشري أو فئة اجتماعية على مجموعة لها هوية مشتركة بالمعنى النفسي لمفهوم الهوية الاجتماعية، وتقوم هذه النظرية على مجموعة من الفروض منها أن الأفراد يسعون لتحقيق هوية اجتماعية خاصة بهم والمحافظة عليها بصورة إيجابية والتي يستمدون هويتهم من عضويتهم في مختلف أنواع

الجماعات وأن الأفراد يدركون هذه العضوية عن طريق التصنيف الاجتماعي وأن الهوية الاجتماعية هي المكون الرئيسي الذي تتألف منه مجموعة من الهويات منها الدينية والقومية والثقافية والمهنية والوطنية ويرى الباحثان أن هناك مجموعة من العوامل التي تساعد في تشكيل هوية الأمة القومية والوطنية ، وهي كلما كانت اللغة أكثر اتصالاً بثقافة الشعوب كانت أفدر على تشكيل هوية الأمة وحملها. (4)

3- خصائص الهوية:

إن الهوية الأصلية تتغير باستمرار وتكتسب سمات جديدة ، وترفض أخرى وهذا يعني أن الهوية شيء ديناميكي و هي سلسلة عمليات متتابعة كما أنها تتحول مع الزمن فهي ديناميكية ، وهي ترتبط بالأثر الذي تتركه الحضارة عبر التاريخ ، ويمكن النظر الى الهوية في صورتها الديناميكية على أنها مجموعة من المقررات الجماعية التي يتبناها مجتمع ما ، في زمن محدد للتعبير (5).

4- فيما يمكن دور الهوية؟

تكمن أهمية الهوية في أنها المنظار الذي ينظرون به الأفراد إلى الواقع، والمعيار الذي يقترحون به الحلول لمشكلاته . ولكن ماذا إذا كان المواطنون في البلد الواحد منقسمين على ثقافات، وهويات مختلفة؟ هنالك عدة احتمالات أحسنها من حيث الاستقرار وعدم التنازع : هو أن تكون إحدى هوياتهم هذه هي الغالبة من حيث عدد المنتسبين إليها. لأن الهوية التي استقر أمرهم عليها قد لا تكون بطبيعتها مساعدة على ذلك . وإذا لم تكن هنالك هوية غالبة بهذا المعنى فقد يكون المنتمون إلى إحدى الهويات أقوى من غيرهم؛ فيفرضون هويتهم، وينظمون أمرهم على أساسها . هذا سيكون بالطبع على حساب بعض الحريات، لكن هذه الأدلجة المفروضة بالقوة قد تكون مساعدة على تطور البلاد اقتصادياً وعلمياً وعسكرياً، كما كان الحال في الاتحاد السوفييتي، وكما هو الآن في الصين، وكوريا الشمالية فإن أي تعدد للهويات في الوطن الواحد قد يؤدي إلى تمزيقه؛ فإن اتحاد الهويات في أوطان متعددة قد يؤدي إلى توسيع للحدود الوطنية، بضم بعض الأقطار إلى بعض، أو بالتعاون الوثيق بينها الذي يجعلها كالوطن الواحد، كما هو الحال الآن في الاتحاد الأوروبي مما أن مصالح المواطنين في أرض معينة لا تكاد تكون محصورة في حدود أرضهم، ولا سيما في عصرنا هذا الذي تشابكت فيه المصالح بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم؛ فإن مفهوم الدولة الوطنية بدأ يتضاءل، وتحل محله تحالفات أو اتحادات بين دول متعددة . ولكن هذا محله تحالفات أو اتحادات بين دول متعددة . غير أنها لا تتجح إلا إذا كانت مبنية على هويات مشتركة . (6)

5- هوية المجتمع الجزائري:

إن هوية أية أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية والهوية دائماً جماع ثلاثة عناصر : العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به، والتراث الثقافي الطويل المدى اللغة هي التي تأتي بعد الدين، بوصفها عاملاً مميزاً لشعب ثقافة ما عن شعب ثقافة أخرى تأتي التاريخ وعناصر الثقافة

المختلفة في صنع الهوية . وأهم عناصر الهوية الدين إذ تدوب في الحروب الهويات المتعددة العناصر، وتصبح الهوية الأكثر معنى بالنسبة للصراع هي

السائدة، وغالباً ما تتحدد هذه الهوية دائماً بالدين . (7) في كتاب تاريخ الجزائر الحديث للدكتور بلقاسم سعد الله ورد أن هوية الشعب الجزائري قائمة على الدين الاسلامي، العروبة الثقافية والوطن الجزائري (8)

من هذا المنطلق يمكن القول أن هوية المجتمع الجزائري تتكون من الاسلام دينا واللغة العربية ثم الأمازيغية لغة يليها التاريخ المشترك. بالرغم من الامازيغية لا يمكن اعتبارها لغة بل هي مجرد لهجة، أولاً لافتقارها لحروف خاصة تكتب بها، بالرغم من وجود عدة رؤى في سبيل تحقيق هذا المسعى، فمنهم من يرى ضرورة كتابتها بحروف اللغة الفرنسية، في حين يطالب فريق آخر بكتابتها بالكين فلنية. هذا من جهة ومن جهة أخرى أن الأمازيغية في حد ذاتها مختلفة ما بين الأمازيغ أنفسهم من ميزاب وشاوية وقبائل فأى لهجة ستعتمد، ألا يمكن اعتبار توحيد اللهجة الأمازيغية لترتقي الى مستوى اللغة يعني ميلاد لغة جديدة مزيج لهذا الكل المختلف في الكثير من المفاصل، ومن الممكن جدا أن يخلق هذا الاجراء صراع تهدف من ورائه كل لهجة فرعية الى تحقيق البروز على حساب اللهجات الأخرى.

بالرغم من كل هذه الرؤى التي تدور حول امكانية وصول الأمازيغية الى مصاف اللغة، غير أن ما لا شك فيه هو وجودها ضمن مكونات الهوية، طالما أن هاته الأخيرة ما هي إلا السمات والخصائص المشتركة التي تميز مجتمع من المجتمعات وهذا على المستوى الاجتماعي للهوية.

ثانيا - مظاهر أزمة الهوية في المجتمع الجزائري:

إن أزمة الهوية هي أزمة عالمية، ليست مشكلة مجتمع بذاته بل هي مشكلة مجتمعات عدة كما يصفها هانتكتون إذ يقول ليست أمريكا فريدة في أن لديها مشكلة هوية، النقاشات الوطنية سمة عالمية لزمنا ففي كل مكان تقريبا يتساءل الناس وأمعنوا النظر واعادوا تعريف ما هو مشترك لديهم وما يميزهم عن الشعوب الأخرى، من نحن؟ والى أين ننتمي فاليابانيون يتنازعون ما إذا كان موقعهم وتاريخهم وثقافتهم تجعلهم آسيويين؟ أو أن ثروتهم وديموقراطيتهم وحدائهم تجعلهم غربيين؟ لقد وصفت إيران بأنها أمة تبحث عن هوية وجنوب افريقيا منشغلة في البحث عن هوية والصين كذلك وسوريا والبرازيل حسب رأي هانتكتون تواجهها أزمة هوية، والجزائر أزمة هوية دموية وتركيا أزمة هوية فريدة تعود الى جدال ساخن حول الهوية الوطنية، وروسيا أزمة هوية عميقة تعيد فتح جدال القرن التاسع عشر الكلاسيكي بين ذوي النزعة السلافية وذوي النزعة الغربية، في ما يتعلق بكون روسيا بلدا أوروبا عاديا أو بلدا آسيويا مختلفا بشكل واضح . إذا لقد أصبحت أزمات الهوية الوطنية ظاهرة عالمية (9).

من مظاهر أزمة الهوية في المجتمع الجزائري ما يلي:

- وجود تعدد فعلي للهويات في حين أن المشرع الجزائري يؤكد على وجود هوية مشتركة بالرغم من وجود نوع من الصراع والرفض لبعض الهويات كالأمازيغية من طرف بعض العرب، واعتبار كذلك بعض الامازيغ أنفسهم بأنهم ليسو بعرب بل أقرب الى الأوروبيين لذلك نجدهم يفضلون التخاطب باللغة الفرنسية مقابل العربية .
- لغة التخاطب هي اللغة الفرنسية واعتبارها لغة التقدم والرقي ، فأكبر السياسيين والقادة في الجزائر يعتمدون على اللغة الفرنسية في خطاباتهم حتى على مستوى القضايا الداخلية والمسائل الخاصة بالمجتمع الجزائري .
- اعتماد اللغة الفرنسية في كتابة الوثائق الرسمية الحكومية.
- اعتماد اللغة الفرنسية في المعاملات المختلفة سواء في مجال العمل كالطب والهندسة، الصيدلة ولا وجود للغة العربية.
- وجود تيارات أيديولوجية مختلفة تماما ومتصارعة في الكثير من الحالات كالتيار الفرنكوفوني والبربري والاسلامي.
- مطالبة قوى جزائرية ممثلة في أحزاب سياسية بإحلال الأمازيغية محل العربية.
- الوجود الواقعي للصراع العربي الأمازيغي، واعتبار الامازيغ أنفسهم بأنهم مهضومي الحقوق على أرضهم من طرف وافدين إليهم.
- من مظاهر أزمة الهوية في المجتمع الجزائري هو التعدد اللغوي المتمثل في اللغة العربية الفصحى المعتمدة في التدريس فقط، ولغة عربية دارجة أنشأها المجتمع وهي خليط ما بين الفصحى والفرنسية وبعض ترسبات الثقافة التركية وحتى ثقافة الوافدين الى شمال افريقيا، بالإضافة الى ذلك الأمازيغية والتي هي الأخرى تختلف من منطقة الى أخرى ففي منطقة القبائل لوحدها تختلف القبائلية الى حد ما من حيث المفردات ناهيك عن الشاوية والميزابية والشلمية والتارقية.
- في ظل هذا التعدد ظهرت مسألة الصراع اللغوي حيث اعتبرت الأقلية الأمازيغية أن لغتها مهمشة ومقصاة من مكونات الهوية، بالرغم من الاعتراف الرسمي باللغة الأمازيغية كلغة رسمية ثانية للمجتمع الجزائري. وهذا ما تسبب في خلق نوع من العدا، والذي زاد الطين بلة هو رفض أغلبية الشرائح الاجتماعية تعلم اللغة الأمازيغية لأنها ليست بلغة علم، ولا فائدة منها سوى عبء بيداغوجي اضافي للمتعلم لن يضيف له شيء. فنتج عن هذه المسألة زيادة اتساع الهوة ما بين العرب والأمازيغ من جهة واستغلال أطراف خارجية أخرى لمثل هكذا قضايا لضرب ثوابت الأمة وبالتالي تهديد أمنه واستقراره.

نتيجة للثقافات المختلفة التي عايشتها المجتمع الجزائري محدثة بذلك سواء غزو ثقافي أو تثقاف أو استيلا ب ثقافي، فالاستعمار الفرنسي ولا جدال في ذلك قد ترك آثاره الواضحة على المنظومة القيمية، وهذا لعدة أسباب من

بينها سياسته التعليمية، التي حاولت جمعية علماء المسلمين الجزائريين محو وإلغاء تأثيرها وإعادة بناء ثقافة عربية وإسلامية. نتيجة لكل هذا الكل المركب من القيم ظهرت تيارات مختلفة في الجزائر من بين أبرزها:

-التيار الأمازيغي(البربري):

لم تظهر لهذا التيار ملامح إلا بعد الاستقلال، ويستند بالدرجة الأولى على دعم فرنسا ويدعو الى احياء اللغة البربرية والثقافة الأمازيغية وقد استطاع أن يحقق انتصارا ثقافيا بإنشاء قناة تليفزيونية باللغة البربرية، كما يحمل هذا التيار لواء المعارضة لبرامج التعريب التي تتبناها الحكومة. يمثل هذا التيار كل من حزب جبهة القوى الاشتراكية والتجمع من أجل الثقافة والديموقراطية، اللذان ينتهجان العلمانية ويدعون الى الفصل ما بين الدين والدولة، ويسعيان الى احلال اللغة البربرية محل اللغة العربية.

-التيار الفرنكوفوني:

يعتبر الكثيرون هذا التيار خليفة فرنسا في الجزائر، فهو الذي لم يشترك في مواجهة الاحتلال الفرنسي أو هو الذي تمكنت فرنسا من احتوائه وتشعب بالثقافة الفرنسية وبسبب الدعم اللامحدود من فرنسا تمكن من الوصول الى مراكز صناعة القرار في الجزائر (10)

-التيار الأصولي الاسلامي(تيار الجزائر):

قامت العديد من الجمعيات الاسلامية الأصولية والتي كانت تمثل امتدادا لجمعية العلماء وقد اشترك في تأسيسها أقطاب الحركة الأصولية الاسلامية المعاصرة في الجزائر.(11)

- الصراع اللغوي في الجزائر(الفرنسية مقابل العربية) :

نتيجة للصراعات اللغوية عملت بعض القوى الفرنكوفونية بعد الاستقلال وحتى اليوم الى تدعيم مطلب الاقرار باللغة الفرنسية لغة أساسية في البلاد، وذلك ما حمل مواجهة ومعارضة قوية من قبل القوى التي تحمل المشاريع 4 الثقافية القومية، ثم جاء ميثاق 1976، وحدد أهدافها في التأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية وتقويتها، وتحقيق التنمية الثقافية بجميع أشكالها ، مع الاعتماد على مبادئ الثورة الاشتراكية وأن الثقافة أداة لاكتساب الوعي الاجتماعي(12)

-ظهور هويات فرعية:

إن مجال الصراع الثقافي مسى مواضيع كانت بمثابة المقدسات حيث استباححت الأحزاب ذات التوجه العرقي موضوع الهوية الوطنية واللغة الرسمية وانتفاء وامتداد الثقافة الوطنية ، كما نادى بعض القوى والشخصيات باستبعاد الدين من المشهد الثقافي والسياسي وحصره في الممارسة والموروث التاريخي. ونادت القوى أخرى بضرورة

الانفتاح الكلي على الثقافات العالمية واعتماد التنوع الثقافي في السياسة الثقافية من خلال الأفلام والأشرطة وتنظيم المهرجانات لفتح الاحتكاك الثقافي والنهوض بالثقافة الوطنية حتى لا يتموقع على ذاتها. (13)

ثالثا- ترسبات ديناميكية المجتمع الجزائري خلال الفترة الاستعمارية سببا في أزمة هويته:

تظهر الترسبات السلبية لديناميكية المجتمع الجزائري في البنية القيمية للسياسة الاستعمارية التي كانت تهدف الى محو الثقافة العربية والاسلامية مع محاولة القيام بالاستيلاء الثقافي لأفراد المجتمع الجزائري واحلال محل الثقافة الأم ثقافة فرنسية، وهذا من خلال تجهيل المجتمع الجزائري وابعادهم عن دينهم مع تعميم تدريس اللغة الفرنسية مقابل استبعاد اللغة العربية بل إلغائها نهائيا .

في هذا المجال قال أحمد مديني: " لقد حاول المستعمر القضاء على الذاتية المتمثلة في اللغة العربية وأراد محو آثار الشخصية الجزائرية فحارب العربية بكل قوة، كما حارب نظام المدرسة التقليدية وأصبحت اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية في جميع مجالات العمل والتفكير والاتصال ما بين شرائح المجتمع. ومن خلال هذه السياسة اللغوية العدائية يتبين أن الهدف هو إضعاف الشخصية الوطنية وجعل الجزائر مسرحا للهيمنة اللغوية والثقافة الفرنسية. لكن بالرغم من ذلك لم يتمكنوا من تحقيق غاياتهم التغريبية هذا ما أكده الباحث ساطح الحصري في قوله: " ومع ذلك لم ينجحوا فيما كانوا يرمون إليه، ولم تنتج فعلته سوى تفتير الناس منهم وابتعادهم عن المعاهد الفرنسية بوجه عام(14).

وقد أكد بعض الكتاب بأن فرنسا تضطهد اللغة العربية وتحارب الاسلام في الجزائر مع أن المدارس الحرة لا تطلب من فرنسا سوى رفع يدها وترك الشعب يتعلم كما يريد (15)

من جهة أخرى نص دستور الجزائر لسنة 1947 على ترسيم اللغة العربية، غير أنه لم يطبق بالرغم من مطالبية الأحزاب والجمعيات بتطبيقه واحترام اللغة العربية في المدارس الحرة والاعتراف بشهادة الخريجين من جامع الزيتونة والقرويين والأزهر الشريف وغيرها من المعاهد الاسلامية ، وقد ذكر فرحات عباس أن البيان الذي صاغه سنة 1943 جعل الاعتراف باللغة العربية لغة رسمية كالفرنسية من المطالب الأساسية (16).

بالرغم من كل هذا فقد قاوم المجتمع الجزائري هذه المحاولات التغريبية ، هذا ما أكدته تورين في قولها: " يعترف الفرنسيون أن ما قاموا به من مغامرات لا طائل تحتها، واعترفوا بالفشل وفكروا في أسلوب جديد ومناهج أقرب الى الواقع واختطوا لتعليم اللغة العربية خططا في اطار القضاء على الروح المعنوية من خلال التعليم المزدوج في المدارس الفرنسية العربية، فلم يتغير موقف المواطنين وبقيت تلك المؤسسات خالية (17).

إذن، إن السياسة الاستعمارية التي اتبعتها فرنسا في سبيل تغريب المجتمع الجزائري عن ثقافته ودينه ولغته قد نجحت الى حد قليل في تحقيق ذلك، حيث تسببت في تجهيله ، مقابل انتشار اللغة الفرنسية في الشارع الجزائري، والذي امتد الى يومنا هذا حيث نجد في اللغة العربية الدارجة كلمات فرنسية وحتى تركية منها. كما ساهمت كذلك هذه السياسة المتبعة في خلق طبقة اجتماعية مشجعة لتعلم اللغة الفرنسية وتعمل حتى على الدفاع عليها من أجل

سموها، وخير دليل ما نراه اليوم اعتماد اللغة الفرنسية في المعاملات الرسمية في الجزائر، وكأنها هي اللغة الأم للدولة الجزائرية.

مقابل ذلك يوجد من يرفض التكلم واستعمال اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية، وقد ساهم في خلق هذه الفئة الاجتماعية جمعية علماء المسلمين الجزائريين التي تهدف من خلال مشروعها الاصلاحى اعادة احياء وبعث الحضارة العربية والاسلامية، من خلال تدريس اللغة العربية الى جانب علوم الدين والمعارف الأخرى التي لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة في الحفاظ على مكونات الهوية خاصة ما تعلق منها بالعربية لغة والاسلام ديناً.

2- التشريع الجزائري أحد أسباب أزمة هويته:

لقد حمل التشريع الجزائري توجهات أيديولوجية مختلفة للدولة الجزائرية لها أبعاد اجتماعية ، والتي ستعكس ولا شك في ذلك على شبكة العلاقات الاجتماعية، لتطبع نمط المعاملات والتفاعلات المختلفة بطابعها الأيديولوجي. في هذا المجال اتبعت الدولة الجزائرية توجهات مختلفة من أقصى اليسار الى أقصى اليمين، والتي تتعارض في الكثير من الأحيان مع تعاليم الدين الاسلامي، هذا المكون الأساسي لهوية المجتمع الجزائري، هذا ما تسبب في خلق أزمة هوية في شكلها الأيديولوجي وخلق مجالاً للصراع ما بين توجه الدولة والمعتقدات الاجتماعية ذات الأساس الديني.

حيث حمل ميثاق 1964 صفة الاشتراكية في النشاطات الفكرية مما تعارض مع طموحات التوجه الاسلامي، الذي ناضل لحقبة متتالية لصالح اعتماد الحل الاسلامي في حل المشكلة الثقافية وانهاء التبعية الأيديولوجية والثقافية للشرق والغرب(18).

وقد حدد ميثاق 1976 صفات المادة الثقافية التي يتحتم على المؤسسات الثقافية كالصحف والمجلات والاذاعة ودور الطباعة... الخ حملها والدفاع عنها، وذلك بأن تكون ثقافة رفيعة المستوى كفيلة بالاستجابة للحاجات الأيديولوجية والجمالية مع رفع المستوى الفكري لدى المواطن واستبدلت الثقافة الوطنية بالثقافة القومية، كما استعمل مصطلح الثورة الثقافية بدلا من ثورة الثقافة، وطرح مفهوما جديدا للثقافة يقترن بالثقافة الاشتراكية، واستبعد التعايش مع الاسلام والبرجوازية، فتنامت لبنات الصراع وتعارض الرؤى المستقبلية للمشروع الثقافي والتي تمتد بجذورها الى عهد النضال السياسي الى أن وصلت الى ذروتها بعد 1989 سنة باقرار التعددية(19).

بعد فتح المجال للتعددية الحزبية، وإلغاء سيطرة الحزب الواحد ذا التوجه الواحد، اتجهت الدولة الجزائرية توجهها رأسماليا ليبراليا حرا يختلف تماما مع التوجه السابق، وهذا ما أعلنه النظام السياسي الجزائري، وجسدته تشريعات الدولة من خلال دستورها الذي كرس حرية التعبير وتعدد الطروحات مصرحا في الوقت نفسه بنهاية مرحلة الاشتراكية.

ومما لا شك فيه، أن هذا التوجه الجديد قد خلق سمات وخصائص اجتماعية مشتركة لدى أفراد المجتمع الجزائري لتشكل فيما بعد أحد مكونات هويته فنظام الدولة وما يخلفه تاريخها ما هو إلا أحد مكونات الهوية، فلنا أن نتوقع في مرحلة وجيزة يتبنى المجتمع من خلال نظامه السياسي توجهين أيديولوجيين مختلفين تماما وفي نفس الوقت يتعارضان مع أهم مكون للهوية ألا وهو الدين.

3- العولمة أحد العوامل المفعلة لأزمة الهوية في المجتمع الجزائري:

لقد أصبح العالم بفضل وسائل الاعلام والاتصال قرية صغيرة أدت الى تنامي عمليات الغزو الثقافي والتبادل الهائل للمعلومات والأنماط الثقافية. (20)

كما ساهم من جهة أخرى في خلق نوع من التفاعل ما بين الكل المتباعد مكانيا وتمكن من خلال ذلك أيضا في خلق نوع من الفتنة مفادها أن الأقلية الأمازيغية في دول المغرب العربي تعاني التهميش وسلب للهوية، ما عليهم إلا بإعادة احياؤها من جديد من خلال بعث وترسيم اللغة الأمازيغية.

كما قام التطور التكنولوجي والثورة المعرفية بتسريع تناقل المعارف وخلق جسر من الاتصال والتواصل ما بين هؤلاء، لتتمكن أقلية منهم من خلق نوع من الفتنة مفادها بناء دولة مستقلة، لا بد من توحيد الأمازيغ، الجزائر هي أرضهم والعرب مجرد وافدين، وبذلك تمكنوا من خلق نوع من العداة. ومن بين أدلة ذلك هي مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت تتناول هذه المسألة بكل قوة. لتتحول الى وسيط لخلق نوع من الأزمة على مستوى الهوية مفادها صراع ما بين الفئات الاجتماعية المختلفة عرقيا لتحاول كل منها تحقيق السيطرة على حساب الآخر دون احتساب أنهم يشكلون أجزاء اجتماعية مختلفة عرقيا فعلا لكنها تتلاقى في اطار الكل الجامع ألا وهو الدين. إن هذا الوضع انجر عنه صراع ما بين الأمازيغ والعرب.

4- ترسيم اللغة الأمازيغية أحد أسباب تأزم مدلول الهوية في المجتمع الجزائري:

- مفهوم الأمازيغ:

فكلمة أمازيغ تعني في اللغة الأمازيغية "الإنسان الحر النبيل"، وكان الرومان يطلقون على القبائل المنتشرة في الشمال الإفريقي اسم بربر، وأصل الكلمة يوناني وتعني البرابرة، كما أطلقت هذه التسمية على كل من هو غير روماني.

لقد اختلف العلماء والمؤرخين في نسب الأمازيغ منهم من ينسبهم إلى مازيغ ابن كنعان بن حام، ومنهم من ينسبهم لأجناس أوروبية لكن المنتبغ تاريخيا يجد أنهم أقوام اختلطت مع اليونانيين، والفينيقيين والايطاليين، وقيل أنهم من الساميين.

ومع الفتح الاسلامي لمصر 611 م تم فتح المغرب العربي على يد عقبة بن نافع، وحسان بن النعمان، وموسى بن نصير دخل البربر الإسلام، وشاركوا في فتوحات الجيش الإسلامي في اسبانيا، وكان من أشهرهم القائد

طارق بن زياد. شارك البربر في بناء الحضارة المصرية القديمة من أبرزهم ششناق وفي حضارة الفينيقيين أيضا، وبعد سقوط قرطاجة 146 ق م تأسست دولة نوميديا الأمازيغية. يبلغ عدد الأمازيغ 55 مليون نسمة في العالم منهم 20 مليون في العالم العربي وموطنهم شمال افريقيا من غرب مصر القديمة إلى جزر الكناري، ومن حدود جنوب البحر الأبيض المتوسط إلى أعماق الصحراء الكبرى في النيجر، ومالي يتحدث الأمازيغ اللغة الأمازيغية بتنوعاتها، واعتمدت خط التيفيناغ ، و من أشهر أعلام الأمازيغ نجد ماسينيسا، يوغرطا، الكاهنة، ابن بطوطة، طارق ابن زياد، عباس بن فرناس. حسب المؤرخ الجزائري عبد الرحمن الجيلالي في كتابه " تاريخ الجزائر العام " يقول أن أول من عرف في التاريخ المسجل من سكان هذا الوطن إنما هم البربر الذين ينتشرون بصورة خاصة في بلدان المغرب، والجزائر، وتونس وليبيا وحتى مصر . أما الأمازيغ في الجزائر فهم مزيج بين : القبائلية، الشاوية المزابية، التوارق. (21)

- أزمة الهوية بسبب الصراع الناتج عن ترسيم اللغة الأمازيغية (منذ الفترة الاستعمارية الى عهد الاستقلال) :

لقد أدرج الزعيم الوطني مصالي الحاج البعد العربي الإسلامي، لأول مرة، في أدبيات "حزب الشعب - انتصار الحريات الديمقراطية" (الذي خرج من معطف "النجم")، عند نهاية 1948، حينما وجه مذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة، حدد من خلالها مرجعية الأمة الجزائرية استنادا إلى "البُعد العربي - الإسلامي" فقط، دون أن يأخذ من خلاله بعين الاعتبار تاريخ مرحلة ما قبل "الفتح الإسلامي".

ويعتقد الدكتور عمار مُحمد عامر، الباحث في مركز "الكراسك" بوهران، أن "هذين الخيارين (العروبة والإسلام) أمثلتهما الوضعية الكولونيالية. وأمام قوة فرض اللغة الفرنسية والديانة المسيحية على أرض الجزائر من طرف الفرنسيين، أرسى الوطنيون الجزائريون حماية للدفاع عن الهوية الوطنية، كرد على الهجمة السياسية الفرنسية الكولونيالية العنيفة. وكان ذلك الخيار بمثابة "تسوية مؤقتة" ضمنية، وتسوية موضوعية، وتسوية مقبولة، ضمن ظرف تاريخي مُحدد. ولم يكن هذا الخيار البتة كنتاج مسار الاعتراف وتوحيد هوية وطنية قوتها تكمن في البعد العربي الإسلامي".

وبحسب مصالي، فإن تاريخ الجزائر يبدأ مع "الفتح العربي الإسلامي"، وهو ما أوجد معارضة شديدة من قبل نخبة من المناضلين أخذوا يتحسسون من طريقة تسيير الحزب من قبل الزعيم، صاحب الشخصية الكاريزماتية القوية. وكرد على أطروحة مصالي، قام ثلاثة مثقفين أعضاء في الحزب ينتمون لمنطقة القبائل، وهم مبروك بلحسين ويحيى حنين والصادق حرس، بإعداد وثيقة من ثلاث وثلاثين صفحة (وقعوها باسم مستعار هو "إيدير الوطني") وجاءت كرد على الزعيم مصالي، اعتبروا من خلالها أن "الجزائر جزائرية" و"ليست عربية إسلامية" فقط، مثلما ورد في المذكرة الموجهة للأمم المتحدة. واقترحوا تحديد الهوية الجزائرية على أسس تقوم على المواطنة، وليس على الانتماء العرقي والديني، انطلاقا من التعددية الثقافية والدينية للبلاد، مع دعوة الأوروبيين للتخلص من التبعية للنظام الكولونيالي، والاتحاق بالمجموعة الوطنية في نضالها ضد الاستعمار، فتمت عملية استبدال "الوطنية

الشوفينية" الجائزة للمستعمرين الأوروبيين بالوطنية المُحررة، للتخلص من نير الاستعمار. واختلف تصور هؤلاء المثقفين للأمة الجزائرية حتى عن تصور جمعية العلماء المسلمين، حيث اتكأوا على فكرة أن الأمة ليست ساكنة، بل هي نتاج اتفاق ضمني يخضع يوميا للتغيير. واعتبروا أن الأمة لا تستند على العرق، ولا على الدين، ولا على اللغة، بل على المواطنة. ولم يؤمنوا بأمة نقية، بل بأمة تحتوي على "جماعات إثنية مختلفة".

ويرى حربي أن المسألة تختلف عام 1947، إذ برز الاهتمام بالانتماء الأمازيغي لدى مناضليين وطنيين لا يرقى الشك إلى نضالهم ضد الاستعمار، وإلى نزعتهم الوطنية، بدليل أن أطروحاتهم خرجت من رحم الحزب الوطني (حزب الشعب - انتصار الحريات الديمقراطية). ولم يبتعد هؤلاء المناضلون الوطنيون، وهم يرجعون للانتماء الأمازيغي، عن الطرح الراديكالي المطالب بالاستقلال الوطني، فكونوا أولى الخلايا المسلحة التي التحقت بالجبال بغية الإعداد للعمل المسلح عقب أحداث الثامن من مايو/ أيار 1945(22).

ويتحدث الباحث المتخصص في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، علي قنون، عن ظروف بداية تشكل ما أصبح يسمى بالنزعة البربرية، فيقول: "بداية من عام 1946 انقسم حزب الشعب - انتصار الحريات الديمقراطية إلى توجيحين، توجه راديكالي يدعمه أنصار العمل المسلح، وتوجه يريد المشاركة في انتخابات 1947. وخلال انعقاد مؤتمر الحزب في فبراير/ شباط 1947 بالجزائر العاصمة، استطاع أنصار الدكتور لمين دباغين فرض فكرة إنشاء المنظمة الخاصة (لوس) لإعداد الحزب والمناضلين للعمل المسلح. وعقب تزوير الانتخابات من قبل الإدارة الاستعمارية، سُجن عدد كبير من مناضلي الحزب بينما وجد آخرون أنفسهم ينشطون في السرية. وقام مناضلون آخرون بمغادرة الحزب، والالتحاق بالحزب الشيوعي الجزائري. هذه الوضعية أدت إلى تقوية التيار الراديكالي الثوري داخل الحزب، فاعتتم أنصاره فرصة اعتبار أن العمل المسلح هو الحل، كما انتقدوا إدارة الحزب وطالبوها بتوفير الإمكانيات اللازمة لدعم المنظمة الخاصة (لوس، المكلفة بالإعداد للثورة). واتهموا خصومهم بأنهم "تيايبون". من هنا نعتبر أن الرهان الأساسي خلال هذه المرحلة هو رهان حول القيادة (الزعامة)، بين أنصار مصالي الحاج من جهة، وأنصار الدكتور لمين دباغين من جهة أخرى. وكان هذا الأخير يحظى بمساندة غالبية مناضلي منطقة القبائل باعتبار أنه الرجل القادر على تجسيد نضالهم الثوري والشروع في العمل المسلح.

أدى هذا الوضع، حسب علي قنون، إلى بروز حالة من التوتر داخل الحزب، حيث عبر المناضلون الراديكاليون عن شعورهم بأن "التيايبين" كانوا بصدد تهميشهم وإقصائهم. وبلغ هذا التوتر حدته في صفوف الحزب بالمهجر، في نوفمبر/ تشرين الثاني 1948، عقب انتخاب رشيد علي يحي (وهو من منطقة القبائل) على رأس فيدرالية الحزب بفرنسا، وانتخب رفقة زملائه في مارس/ آذار 1949 على فكرة "الجزائر الجزائرية"، فاستنكروا فكرة "الجزائر العربية" المنتهجة من قبل الحزب، والزعيم مصالي الحاج، وأكدوا أن "الجزائر جزائرية"، وليست "عربية أو بربرية (أمازيغية)"، وفق تصور أحادي لا يضمن التنوع والاختلاف (23).

تحركت قيادة الحزب، يضيف الدكتور قنون، وأصدرت أوامر للمناضلين الذين بقوا أوفياء للزعيم مصالي، باحتلال كل المقرات، وطرد المناضلين الذين اعتبروا أنهم "بربريون". وأصقت بهم تهمة "التأمر من داخل الحزب"، ووصفوا

ب"الساعين لنشر الفوضى"، و"المرتبطين بالإمبريالية"، و"غير الموالين" و"ذوي النفوس الضعيفة". وفي رد فعلهم اتهم أصحاب "الجزائر الجزائرية" خصومهم ب"نقص الوعي الديمقراطي" و"الرغبة في إقامة ديكتاتورية داخل الحزب". واعتبروا أن القيادة خانت برنامج الحزب، وبرأوا أنفسهم من تهمة "البربريزم". وكان رد فعل هؤلاء، أنهم اتهموا القيادة بالانحياز للعروبة وإغفال البعد الأمازيغي، ونظروا للجزائر نظرة تقوم على التعددية واعتبروها جزائرية (24).

يرى الدكتور رايح لونيبي، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة وهران، أن طبيعة السلطة التي برزت عقب الاستقلال، لم تأخذ بالتصور التعددي للهوية الوطنية، بل فضلت خيارا مختلفا. وقال: "الذين أخذوا السلطة في عام 1962 بقيادة بن بلة أرادوا فرض هوية غير واقعية نسبيا، متأثرين في ذلك بأيديولوجيات مشرقية كانت بدورها متأثرة باليعقوبية الفرنسية والأيديولوجيات الفاشية التي عرفتها أوروبا ثلاثينيات القرن 20، والتي تتبنى الأحادية في كل شيء ومنها الثقافة واللغة، فاكتفت السلطة بثنائية العروبة والإسلام متجاهلة الأمازيغية". وأضاف: "هناك نوعان من الهوية، هوية واقعية نعيشها على أرض الواقع، وتقابلها هوية مصطنعة موجودة في أذهان بعض المؤدلجين، لكن ليست لها صلة بالواقع، وبوصول هؤلاء إلى السلطة راحوا يخلقون مشكلة الهوية بكل انعكاساتها الكارثية عندما يسعون للقضاء على الهوية الحقيقية المعاشة يوميا واستبدالها بالهوية المصطنعة بواسطة التعليم ووسائل الإعلام والثقافة، فيكون رد فعل المجتمع على مستويين، فالبعض من أفرادهم تطمس شخصيتهم الحقيقية ويحتقرونها، فيتصلون منها تدريجيا، والبعض الآخر يكون لهم رد فعل قوي، فيكونون أشد تمسكا بهويتهم إلى درجة التحنيط، وهذا ما وقع لمسألة الهوية في الجزائر بعد 1962، ولا يمكن لنا فهمها إلا في هذا الإطار، فهوية الجزائر المعاشة يوميا هي هوية ذات ثلاثة أبعاد أساسية، وهي أمازيغية وعربية ومسلمة، وقد تعايشت هذه الأبعاد الثلاثة في كل جزائري طيلة قرون، أي منذ اعتناق أجدادنا الأمازيغ الإسلام، وتبنيهم للعربية بصفقتها لغة الإسلام، فكانوا يعتزون بالعربية مثلما يعتزون أيضا بالأمازيغية التي كان يستعملها الكثير منهم في حياتهم اليومية،" (25).

ويرى التيار العربي في الجزائر أن الأمازيغية لم تشكل يوما عقبة أمام التنوع والثراء اللهجي والثقافي وحقيقة الأمر أن فرنسا تدعم اللغة الأمازيغية من خلال تصريحات المسؤولين الفرنسيين في أكثر من مناسبة وبشكل رسمي للدفاع عن مكاسب فرنكوفونية. (26)

العنف أحد مظاهر أزمة الهوية في المجتمع الجزائري:

لقد عرف الشارع الجزائري تصعيدا نتيجة التحول الديمقراطي الذي شهدته البلاد، مستفيدا من مزايا حريات التعبير والرأي والإعلام. وقد أخذ أبعادا خطيرة في السنوات الأخيرة، إذ وقعت صدامات عنيفة بين العرب والأمازيغ في ولاية غرداية في جنوب الجزائر خلقت ضحايا ودمارا وفرقت أسرا جمعتهم الألفة وحسن الجوار لأجيال. إن الحرب الباردة بين أبناء الوطن الواحد الذي ثبت التاريخ تعايشهم - الأمازيغ والعرب - منذ أواخر القرن السابع للميلاد في أرض واحدة. (27)

من هنا يمكن القول أن التنوع العرقي والثقافي سلاح ذو حدين: فإن انفتحت الأمم والمجموعات الإثنية على غيرها وتعاملت معها بحسن نية وتفهم واحترام وتسامح، أفضى ذلك إلى المحبة والتعاون والأمن والسلام، مثلما هي الحال في الولايات المتحدة وبريطانيا وأستراليا، التي استوعبت شعوبا وقبائل من أصول مختلفة. وإن انغلقت على نفسها وتعاملت مع غيرها ببنية سيئة وازدراء وتعصب، أفضى ذلك إلى فقدان الثقة والتنافر والاضطراب والصراع، مثلما هي الحال في الجزائر التي تشهد صراع هوية ولغة منذ العهد الاستعماري، يقوده الأمازيغ والعرب. ولحسن حظ المجتمع الجزائري، فقد شاعت الظروف ألا يصعد هذا الصراع إلى هرم السلطة نتيجة عدم اهتمام المجموعات العرقية بالسلطة وقلة طموحها السياسي، لا سيما بعد تجربة العشرية السوداء الدامية والمدمرة. فما برح الصراع منحصرا في الحقل السوسيوثقافي.

خامسا - حلول مقترحة لتجاوز أزمة الهوية في المجتمع الجزائري:

إن تجاوز أزمة الهوية في المجتمع الجزائري ليست بالشيء اليسير مفادها ما هي الطريقة أو السياسة التي تعمل على خلق نوع من التعايش السلمي وتقبل هذا الكل المتكون من الأجزاء المختلفة نسبيا. إن مريبط تماسك المجتمع الجزائري من عرب وأمازيغ هو الدين الاسلامي، أما اللغة فهي مجال للصراع، حيث يرفض بعض الأمازيغ النطق بالعربية لارتباطها بالعرب، هذا ما يعكس وجود نوع من العداة أساسه العرق. ولن تذوب هذه الفجوة إلا من خلال المد الاسلامي أكثر وصد أي تيار اسلامي منحرف عن الطريق القويم لأنه سينسبب في تمزيق المجتمع ككل.

كذلك يجب ترسيم اللغة الأمازيغية واعتمادها في التدريس لكن لا يجب أن تكون اجبارية، بل اختيارية، لأنها ليست بلغة تطور ولا بلغة علم، لكن نزولا عند رغبة المطالبين بذلك، وتقاديا للفتنة والفرقة.

والأمر الايجابي الموجود في النسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري هو امكانية الزواج ما بين العرب والأمازيغ بمعنى الاختلاط في الأنساب فمن خلال هذا ستذوب كل الحواجز وكل شعور بالتمييز العنصري طالما أن الدماء قد اختلطت، إذن إن الصراع اللغوي في الجزائر العربي الأمازيغي حله مرتبط بالزمن.

كما يمكن للنخب الجزائرية السياسية والثقافية من كل الأطراف تجاوز إشكاليات الهوية الوطنية، والتحرك نحو بناء الهوية الداخلية الجامعة، إذا تعاملوا مع ملف الهوية وفق المسارات الثلاثة التالية :

أولاً: تحديد الهدف من فتح النقاش حول ملف الهوية داخل المجتمع والدولة، بحيث يكون التناول رافعة للبناء والاستقرار والنهوض، بعيداً عن الاشتباك والصراع الأيديولوجي والديني؛ فالتعاطي مع قضايا الهوية باعتبارها بوابة لبناء الجسور بين مكونات المجتمع الجزائري سيوفر الجهد ويقلل من حجم التوتر والانفعال؛ إذ إن الأمازيغ والعرب مكونان للمجتمع انصهرا سوياً، والاثنان شكلاً معاً وجه الجزائر الحضاري المقاوم للاستعمار والداعم لقضايا التحرر في المنطقة، وعلى رأسها قضية فلسطين.

ثانياً: اعتبار الهوية الجزائرية مضماراً ذا مسافات متعددة (ثقافية واجتماعية وسياسية) إذ إنه من الخطأ قصر الحديث فيها على البعد اللغوي فقط أو التاريخي؛ ولا بد من تناولها من حيث جميع المجالات الإنسانية والاجتماعية من تراث وتاريخ وجغرافيا واقتصاد وفنون وموسيقى جزائرية داخلية في مدار الهوية ومؤثرة فيه، ولذلك يُعد الإسلام فرصة تاريخية لإنتاج خيط ناظم يجمع شتات الهوية الجزائرية؛ وبالتالي عندما يُفتح النقاش حول الهوية لا بد أن يفتح من الباب الواسع الذي يُرحب بفحص واعتبار كل السياقات وعدم قصر مناقشة قضايا الهوية في الإطار الاحتجاجي والسياسي والقانوني فقط.

ثالثاً: فهم النخبة الجزائرية لفلسفة بناء الهوية الوطنية باعتبارها متغيرة ومتحركة ومتفاعلة مع التاريخ والجغرافيا، إذ إن علماء الاجتماع يعتبرون الهوية مساراً مفتوحاً يتشكل عبر الزمن ويتطور في الحاضر، وقد ينمو في المستقبل وفق الفرص والتحديات التي يفرضها الواقع المحلي والإقليمي والدولي، وهو ما يبدو في تمسك العديد من النخب الأمازيغية بهويتها اللغوية، وجعلها أهم مكونات هويتها الخاصة، عندما وجدت أن لغتها مهددة ومُهملة بعد الاستقلال نتيجة عدم اعتراف الدولة بلغتهم الأم، في حين أنهم أثناء الاحتلال الفرنسي كانوا يعتبرون أن الهوية الإسلامية هي الواجب إبرازها لأن المحتل كان يستهدفهم. (28)

خاتمة.

إن مسألة الهوية في المجتمع الجزائري هي من بين المجالات المتأزمة والتي يشوبه الكثير من الغموض والشغرات التي يمكن أن تكون سبباً في انفلات الوضع الأمني وخلق حالة من الصراع والاستقرار. ويعود هذا الوضع الذي آلت إليه الهوية بالرغم من بناها الأخرى التي لا شك فيها كالدين الإسلامي على عوامل استعمارية تسببت في خلق لغة فعلية هي الفرنسية على حساب العربية، فأصبحت تعتمد في المعاملات المختلفة للدولة الجزائرية. ومن جهة أخرى ساهمت في خلق لغة أخرى إن استطعنا قبول ذلك تجاوزاً لغة عامية تحوي مفردات عربية إلى جانب مفردات أخرى من اللغة الفرنسية وحتى التركية. هذا ما تسبب في خلق هوية فعلية وواقعية إلى جانب هوية وهمية.

ومن أسباب أزمة الهوية كذلك هو اعتبار بعض الأمازيغ أنهم هم سكان الأصليين للجزائر بالرغم من ذلك فهم يعانون التهميش من قبل الوافدين إليهم، لذا أستغلت هذه المسألة من قبل بعض القوى الخارجية لخلق الصراع وزعزعة الوضع الأمني، وبالفعل فقد حاولت بعض الأطراف الأمازيغية بحكم ذاتي، وأصبحوا يفضلون التخاطب باللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية لارتباطها بالعرب.

وقد زادت حدة هذا المطلب بعد فتح المجال للتعددية السياسية في الجزائر وفسح المجال لإنشاء الأحزاب السياسية المختلفة المتعددة المشارب الى جانب القوى الاجتماعية المختلفة من حيث التوجهات الأيديولوجية برز المطالب الأمازيغي بكل قوة ، الذي أكد على ضرورة ترسيم اللغة الأمازيغية، وكان لهم ذلك من خلال دستور الدولة الجزائرية الذي اعتبر اللغة الأمازيغية هي اللغة الرسمية الثانية للدولة بعد اللغة العربية. وقد خلق هذا المطلب وهذا التوجه الذي كان من طرف بعض المطالبين به بهدف تمزيق تماسك المجتمع تلبية لأطماع قوى خارجية ، كما خلق أزمة على مستوى الهوية حيث ترفض بعض الشرائح الاجتماعية من العرب الجزائريين اعتبار الأمازيغية كأحد مكونات الهوية لأنها لا ترتقي الى مستوى اللغة. كما خلق كذلك نوع من العداء من طرف الأمازيغ للعرب باعتبارهم هم من سلبوا حقوقهم. إن ما ساهم في استقرار الوضع في الجزائر هو الهوية الاسلامية .

إن تجاوز أزمة الهوية في الجزائر لن يتأتى إلا من خلال تفعيل ثقافة السلم وتقبل التعدد الذي لا يتعارض مع معالم الدين الاسلامي، وبما أن الامازيغية والأمازيغ هم عرقا موجود في الجزائر فله كامل الحق في تفعيل هويته لكن شريطة أن تكون في اطار الهوية الكلية، ولا يجب السماح لمثل هكذا تعدد على مستوى الهوية في خلق مجال للصراع فيما بينها تحقيقا للسيطرة.

إن الوحيد الذي يستطيع تحقيق ذلك هو التمسك بتعاليم الدين الاسلامي، وعدم السماح للتيارات الاسلامية بتشويهه لأنه الوحيد القادر على تحقيق الاستقرار والامن في الجزائر وفي العالم ككل.

الهوامش.

- 1 - عبد الغفار محمد أحمد ومنزول عبد الله منزل عسل، المواطنة والهوية والأقليات والثقافات الفرعية في السودان ، ص 2 ، على الرابط التالي:
<http://khartoumspace.uofk.edu/bitstream/handle/123456789/7307/paper16.pdf?sequence=&iAllowed=y> بتاريخ 16-07-2018. على الساعة:12:44
- 2 - عز الدين صحراوي، اللغة العربية في الجزائر: التاريخ والهوية، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، جامعة محمد خيضر بسكرة، جوان 2009، ص4.
- 3 - المرجع السابق، ص ص 5-6.
- 4- محمود ياسين الخفاجي،وابتسام سعدون محمد، مستوى شعور طلبة كلية التربية بالهوية الوطنية مجلة التراث ، مخبر جمع دراسة وحفظ مخطوطات المنطقة وغيرها، جامعة زيان عاشور الجلفة، العدد 10، ديسمبر 2013، ص 187.
- 5 - نائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، ص 259،-260. مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية ، العدد1، المجلد 8، 2009
- 6 - المرجع السابق، ص ص 268 - 267.

7 - المرجع السابق، ص 259.

8 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1945-1962، الجزائر، 2007، دار البصائر ص64.

9 - حبيب صالح مهدي، دراسة في مفهوم الهوية، ص 11، بتاريخ 2018/07/25، على الساعة: 10:31 على الرابط التالي:

<https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&ald=29078>

10 - رضوان أحمد شمسان الشيباني، الحركات الأصولية الإسلامية، مكتبة مدبولي، 2006، ص 148

11 - المرجع السابق، ص 149.

12 - منصور مختار، التحولات الثقافية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الجزائري (1990-2000)، رسالة دكتورا، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، ص 149.

13- عز الدين صحراوي، مرجع سابق، ص ص 12-13.

14- أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص62،

15- المرجع السابق، ص61.

16- عز الدين صحراوي، مرجع سابق، ص 14

17- منصور مختار، مرجع سابق، ص 148.

18- المرجع السابق، ص 150.

19- المرجع السابق، ص 76.

20- ياس الغرابوي، الهوية الجزائرية... 3 مسارات لمواجهة التحديات القائمة، 7 أغسطس 2017 على الرابط التالي: بتاريخ 2018/07/12. على الساعة 17:22.

21- سامية بن يحيى، الأمازيغية في الجزائر إيديولوجيا أم هوية، بتاريخ: 2017-12-25. على الرابط

<HTTP://KATEHON.COM/AR/ARTICLE/LMZYGY-FY-LJZYR->

التالي:

YDYWLWJY-M-HWY

بتاريخ 2018-07-19، على الساعة 13:10

22- حميد عبد القادر، المسألة الأمازيغية في الجزائر، فبراير 2018، على الرابط التالي

<https://www.alaraby.co.uk/diffah/herenow/2018/1/29>

بتاريخ: 2018/07/19 على الساعة: 15:37.

23- الموقع السابق، المقال السابق.

24- الموقع السابق، المقال السابق.

25- الموقع السابق، المقال السابق.

26- <https://www.alaraby.co.uk/investigations/2017/8/6-3> الهوية-الجزائرية-3-مسارات-لمواجهة

27- منصور مختار، مرجع سابق، ص 59.

28- مولود بن زادي، أزمة اللغة والهوية في الجزائر وخطر اندلاع حرب الجزائر الأهلية الثانية؟

بتاريخ 18-07-2018 على الساعة: 12:49 على الرابط التالي:

<https://www.raialyoum.com/index.php>